لعل اسابيع تقضيها — هى — فى الريف ، فى عزلة وتفكير ، ان تعدها لهذا العهد الجديد ، هذا العهد القاسى الشديد .

ونهضت متماسكة من سريرها . وسارت الى النافذة ففتحتها ، وجلست على كرسى صغير بجانبها . . . وجعلت تنظر إلى الغيث وقد أخذ ينهمر مدرارا ، والى الرياح وهى تميله يمينا وشمالا . .

ثم أخذ ينهمر على خديها مطر « غزير » لم يكن مما أسقطه السحاب ، أو دفعته الرياح . . .

والشمس من خلف الأفق تجرى لمستقرلها ، والارض ، ما برحت تدور حول محورها المائل المنحرف .

فيا عجبا لهذا الكوكب السخيف ! كيف آثر الانحراف على الاعتدال ، والميل على الاستقامة ؟

محمد عوض محمد

العرب والفرس قبل الاسلام

للدكتور عبد الوهاب عزام

سأجمل فى هذا المقال ، مايعرفه التاريخ وترويه الأساطير من الصلات بين العرب والفرس قبل الاسلام ، وعسى أن يكشف التاريخ عن صلات أخرى بين الأمتين ، أو يبين عن حقائق تفسر بعض هذه الأساطير

ويمكن تقسيم الروايات الى قسمين : ماقبل العهد الساسانى وهى أساطير ، وما بعده وهى تاريخ أو قريب من التاريخ

قبل عهد الساسانيين

الأساطير تتفق عليها الكتب العربية والفارسية ، وأعظم مصادرها كتاب الشاهنامة للفردوسى ، ومنها :

١ — أسطورة الضحاك

وإجمالها أن الضحاك هذا كان ابن أمير عربى من امراء اليمن اسمه مرداس تمثل له الشيطان فى صورة شاب صبيح وزين له قتل أبيه ففتله . ثم تمثل له فى صورة طباخ وأعلمه أنه حاذق فى تجويد الأطعمة ، خبير بأصنافها ، فاتخذه الضحاك طباخا له فطبخ له اللحم ، وكان الناس من قبل لا يأكلونه ، فاستطاب الضحاك ألوان اللحم التى قدمها له طباخه فقربه وركن اليه .

ثم سأل الطباخ سيده أن يأذن له فى تقبيل كتفيه ، فقبلهما ثم ساخ فى الأرض فلم يعرف أثره ، ونبت على منكبى الضحاك سلعتان كانهما حيتان ، فذعر لذلك واستدعى الأطباء فلم يهتدوا فى أمرهما الى دواء ، وكان الضحاك يحس لهما وجعا . فتمثل الشيطان فى صورة طبيب وأشار على الامير أن يطلى السلعتين بأدمغة البشر ، ففعل وسكن الألم ، فدأب على ذلك لايستريح الا أن يقتل بعض الناس فيدهن بدماغهم حيتيه .

وكان جمشيد ملك الفرس قد عتا وتجبر وادعى الألوهية ، ففزع الفرس الى الضحاك يستغيثونه ، فسار اليهم فى جند كثيف وتعقب جمشيد حتى قتله . ثم تسلط على بلاد الفرس وسام الناس ألوان العذاب حتى ثار به جاوه الحداد ودعا الناس الى تمليك أفريدون . وحارب أفريدون الضحاك فهزمه ، ثم أخذه فقيده وسجنه على جبال دماوند . ويقال ان جاوه الحداد حينما أزمع الثورة أخذ الجلدة التى كان يضعها على حجره حين طرق الحديد فعلقها فى عصا وجعلها علم الثورة ، واتخذها الفرس من بعد لواء مقدسا سموه « العلم الجاوى » (درفش كاويانى)

واذا نظرنا الى تواريخ الشهنامة وجدنا الضحاك يتملك على ايران قبل الميلاد بألفين وثمانمائة سنة : وذلك يوافق عهد الدولة البابلية . فان كان وراء هذه الأسطورة حقيقة فهى تسلط الساميين على ايران . ويؤيد هذا أن كتاب الأبستاق يجعل مقر الضحاك مدينة بورى وهى بابل ، وكذلك نجد فى نزهة القلوب للقزوينى أن بابل كانت مستقر الضحاك ونمروذ

وقد أشار الى قصة الضحاك ابو تمام اذ قال :

ما نال ما قد نال فرعون ولا هامان فى الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك فى سطواته بالعالمين وأنت أفريدون

وافتخر أبو نواس بالضحاك فى قصيدته التى يفخر فيها بقومه القحطانيين:

وكان منا الضحاك يعبده الـ خابل والجن فى مساربها(١)

٢ — وفى الشاهنامة وغيرها من الكتب العربية والفارسية أن أفريدون زوج أبناءه الثلاثة (تورا) و(سلما) و(ايرج) من ثلاث بنات لملك من ملوك اليمن ، وافريدون عند الآريين يشبه نوحا عند الساميين ، نسل من ابنائه الثلاثة خلق كثير ، فتور ابو ملوك تورن ، وايرج ابو ملوك ايران وسلم أبو ملوك الروم ، فالمصاهرة بين أفريدون وملك اليمن تجعل العرب أخوال كل من نسل من بنى أفريدون

٣ — وكذلك نجد فى الاساطير الفارسية أن مهراب ملك

(١) انظر فصل الضحاك فى الشاهنامه وتعليقاتها

كابل فى عهد الملك منوجهر عربى من نسل الضحاك، وأن (زال) بن سام تزوج بنت مهراب فولدت له رستم بطل أبطال الفرس، فرستم اذن له خؤولة فى العرب

٤ — ومن الروايات التى هى أقرب الى التاريخ مما تقدم حرب كيكاوس وملك هاماوران (حمير) وأسر كيكاوس فى بلاد اليمن، وتنازع أفراسياب ملك التورانيين والعرب على ملك ايران، ثم ذهاب رستم الى اليمن وتخليص كيكاوس. ويقول أبو نواس فى القصيدة التى ذكرتها آنفا.

وقاظ (١) قابوس فى سلاسلنا سنين سبعا وفت لحاسبها

وكان كيكاوس، فى القرن العاشر قبل الميلاد فى حساب الشاهنامه.

وفى بعض الكتب العربية أن ملك اليمن اذ ذاك كان ذا الأزعار ابن أبرهة ذى المنار بن الرائش

٥ — ومما تقصه الروايات فى هذا العهد عهد الكيانيين الحرب بين داراب وبين رجل عربى اسمه شعيب بن قتيب. وداراب هذا هو، فى غالب الظن، داريوس أخوس (٤٢٤ — ٤٠٤ ق م)

وأعظم الحوادث فى عهد الساسانيين وهو أقرب الى التاريخ وكثير من حوادثه واقعات تاريخية:

ب — بعد عهد الساسانيين

١ — قصة سابور الأول (٢٤١ — ٢٧٢ م) وملك الحضر، وهو الضيزن بن معاوية القضاعى، أو الساطرون كما فى بعض الكتب. وذلك أن الضيزن أغار على فارس وأسر أخت سابور أو عمته، فسار سابور اليه وحاصر الحضر حتى استولى عليه بخيانة بنت الضيزن.

والحضر كان مدينة بالجزيرة الفراتية على أربعين ميلا من دجلة نحو الغرب ازاء تكريت، وعلى مائتى ميل الى الشمال من بغداد. ولا تزال أطلالها شاهدة بما كان من عظمها ومنعتها. ويقول الهمذانى فى كتاب البلدان:

«كانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها. وكان فيها ستون برجا كبارا. وبين البرج والآخر تسعة صغار»

ويقول ياقوت:

«فاما فى هذا الزمان فلم يبق من الحضر الا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله.» وقد حاصره الامبراطور تراجان وسفريوس فلم يقدرا عليه.

(١) قاظ بالمكان أقام به

وقد روى ياقوت فى قصة الحضر شعرا لعدى بن زيد والأعشى وروى الطبرى شعراً لأبى دؤاد الايادى (١)

والشاهنامة تجعل الواقعة فى زمن سابور ذى الأكتاف وتخلط بعض الحادثات ببعض.

٢ — ومن ذلك ماوقع بين أذينة ملك تدمر وسابور الأول أيضا: فقد أغار أذينة على جيش سابور وهو راجع مظفراً من حرب فلريان أمبراطور الروم، فانهزم الجيش الفارسى وتعقبه أذينة الى أسوار المدائن، وقد اغتبط الروم بما فعل أذينة فاثابوه ولقبوه «اغسطس»

٣ — ومنه قصة سابور ذى الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٩) والعرب.

يروى أن بعض العرب أغار على بلاده فحاربهم فى خوزستان ثم عبر الخليج الى البحرين وهجر واليمامة، ثم سار الى الشمال فحارب بنى بكر وغيرهم، وأنزل بعض القبائل غير منازلهم:

أنزل بنى تغلب بداربن والخط

وبعض بكر بصحارى كرمان

وبعض عبد القيس وتميم فى هجر واليمامة

وبنى حنظلة بالصحارى التى بين الاهواز والبصرة

ويقال انه سمى ذا الاكتاف لأنه خرق أكتاف الأسارى من العرب ونظمهم فى الحبال

— وكذلك كانت أحداث بين العرب ولا سيما اياد وبين سابور بن سابور ذى الاكتاف. ذكر بعضها المسعودى فى الجزء الاول من المروج. وفيها يقول بعض الشعراء:

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب اياد حولها الخيل والنعم

ويقول الحارث بن جنده (الهرمزان):

هم ملكوا جميع الناس طراً وهم ربقوا هرقلا بالسواد

وهم قتلوا أبا قابوس عصبا وهم أخذوا البسيطة من اياد

وتكثر الأحداث بين الفرس وقبائل الشمال عامة ولا سيما ربيعة التى كانت تسمى ربيعة الأسد لجرأتها على الأكاسرة

٤ — والصلات بين أمراء الحيرة والفرس منذ نشأت الدولة الساسانية فى القرن الثالث الميلادى ليست فى حاجة الى البيان، فحسبى أن أذكر من الحوادث مايبين عن مكانة المناذرة فى دولة الفرس وقوتهم:

عهد يزدجرد (٣٩٩ — ٤٠٢) الى المنذر الاول بربية

(١) انظر ياقوت. الحضر، والطبرى: سابور:

ابنه بهرام فنشأ فى الحيرة حتى بلغ الثامنة عشرة ، وتعلم الفروسية والرماية حتى صار مضرب المثل فى الرمى بالنشاب ، ثم رجع الى ابيه فغلبه الشوق الى الحيرة ، حتى توسل برسول ملك الروم الى ابيه ليأذن له فى العودة الى الحيرة فبقى بها حتى توفى يزدجرد . وازمع اعيان الفرس الا يولوا من بنى يزدجرد احداً . فأيد المنذر وابنه النعمان بهرام وامداه بالجند حتى ارغما الكارهين على تمليكه .

وفى روايات الأدب الفارسى أن بهرام هـذا أول من شعر بالفارسية ، أخذ الشعر عن العرب . وفى كتب الأدب شعر فارسى مروى عن بهرام ،وكذلك تروى الكتب العربية شعراً عربياً كما روى المسعودى فى المروج :

أقول له لما فضضت جموعه ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فانى حامى ملك فارس كلها ... وماخير ملك لايكون له حامى

ويروى المسعودى أبياتا أخرى ويقول : « وله أشعار كثيرة بالفارسية والعربية أعرضنا عن ذكرها فى هذا الموضع طلباً للايجاز .

وقد حارب المنذر الرومان انتصاراً للفرس وهزم جيوشهم سنة ٤٢١ م ، وكذلك حاربهم المنذر الثالث ابن ماء السماء وتعقبهم الى أنطاكية حتى استنجد جستنيان الحارث الأعرج الغسانى ، فكانت وقائع بين الأميرين العربيين أسر فيها المنذر ابناً للحارث فقربه للعزى (صنم) وانتهت بقتل المنذر فى موقعة عين أباغ أو يوم حليمة .

٥ — وفى عهد قباذ حينما اضطرب أمر الفرس بفتنة مزدك أغار الحارث بن عمرو الكندى على الحيرة وأخرج منها المنذر ابن ماء السماء ، وصادف ذلك هوى فى نفس قباذ فأيد الحارث. ويروى انه أرسله لحرب أحد تابعة اليمن ،فلما ولى كسرى أنوشروان رد امرة الحيرة الى المنذر .

٦ — وفى عهد كسرى برويز حوالى ٦١٠ م كانت موقعة ذى قار ، وذلك أن كسرى برويز قتل النعمان أبا قابوس ، وطلب ودائعه عند هانىء بن مسعود الشيبانى فأبى اسلامها ، وكان كسرى قد ولى اياس ابن قبيصة الطائى على الحيرة . فسار اياس فى جموع من الفرس والعرب: طىء وبهراء واياد وتغلب والنمر ، فلقيهم بنو شيبان فى جموع من بكر ، ووقعت الحرب وتمادت ثلاثة أيام آخرها يوم ذى قار ، ودارت الدائرة على الفرس وأنصارهم.

وفى يوم ذى قار يقول ابو تمام يمدح ابا دلف الشيبانى :

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ماوطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استر هنواقوس حاجب

ويقول مادحا يزيد بن مزيد الشيبانى :

أولاك بنو الافضال لولا فعالهم ... درجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد ... وحيد من الاشباه ليس له صحب
به علمت صهب الاعاجم أنه ... به أعربت عن ذات أنفسها العرب
هو المشهد الفرد الذى مانجا به ... لكسرى بن كسرى لاسنام ولاصلب

هذه صلات الفرس وعرب الشمال . وكان للفرس مع هذا سلطان على ساحل الجزيرة الشرقى واليمن :

حاول الحبش الاستيلاء على اليمن فى القرن الثانى الميلادى واتيح لهم أن يستولوا على بعض مدنه فى القرن الثالث، ثم أخرجهم الحميريون، فلما تنصر الحبش فى القرن الرابع أيدهم الرومان على الحميريين ففتحوا اليمن سنة ٣٧٤ . ويظهر أن الفرس طمحوا الى اليمن منذ ذلك الحين ، فقد كان النزاع الذى شجر بينهم وبين الروم منذ قامت الدولة الساسانية حريا أن يلفت الفرس الى اليمن بعد أن تألب عليه أعداؤهم الألداء والحبش . ولسنا ندرى من أخبار الفرس فى اليمن شيئا قبل القرن السادس الميلادى اذ نهود تبع ذونواس وأكره النصارى على اليهودية عذبهم، فغضب لهم الروم والحبش وأمد الامبراطور جستنيان الحبش وسلطهم على اليمن ، حتى استغاث سيف بن ذى يزن كسرى انو شروان فأمده بجيش حملته السفن فى الخليج الفارسى الى عمان، ثم سار فى البر وانحاز اليه أهل اليمن فهزموا الجيش، وتولى الفرس البلاد وجعلوا عليها أمرا عربيا فقتله حرسه الحبشى فاستقل بأمر البلاد ولاة من الفرس توالوا عليها حتى جاء الاسلام والوالى يومئذ باذان . وقد أسلم الفرس فى اليمن وأخلصوا للاسلام وكانوا عونا على الثائرين فى حروب الردة وهم قتلوا الأسود العنسى ، وعرف من رؤسائهم النعمان بن بزرك وفيروز الديلمى ومركبود ، وهو أول من حفظ القرآن فى صنعاء فيما يقال .

وكذلك كان للفرس سلطان على البحرين وجاء الاسلام وفى اليمن فرس مستوطنون ومرزبان اسمه سيبخت ، ويروى أن الرسول